المسرح والفنون الأدائية وتحوّلات المرحلة

محاضرة ألقيت في منتدى الثلاثاء الثقافي بتاريخ ٧ صفر ١٤٣٣هـ الموافق ١٤ سبتمبر ٢٠٢١م

علي السعيد

كاتب وباحث في المسرح

لا بـدُّ لنـا أن نحـدد الإطـار الـذي تسـير حولـه هـذه الورقـة وهـو مفهـوم التحـولات نفسـه، ولعـلي أحـدد مفهومـي الشـخصي لهـا أنهـا إحـدى مراحـل تحقيـق رؤيـة المملكـة عشريـن ثلاثـين، والتـي أيضًـا حـددت عـام عشريـن عشريـن عامًـا لبرنامـج التحـول الوطنـي، الـذي يهـدف إلى تطويـر البنيـة التحتيـة اللازمـة، وتهيئـة البيئـة المُمَكنـة للقطـاع العـام والخـاص وغـير الربحـي، لتحقيـق رؤيـة المملكـة عشرين ثلاثـين، وذلـك بالتركيـز عـلى تحقيـق التميـز في الأداء الحكومـي، ودعـم التحـول الرقمـي، والإسـهام في تنميـة القطـاع الخـاص، وتطويـر الـشراكات الاقتصاديـة، وتعزيـز التنميـة المجتمعيـة، وضمان اسـتدامة المـوارد الحيويـة.

وقبـل أن نبحـر في ذلـك لا بـدّ لنـا أن نعـود سريعًـا إلى اسـترجاع مسـيرة المـسرح في المملكـة العربيـة السـعودية وتاريخـه، لمعرفـة محطـات التحـوّل التـي مرت بهـا قبـل هـذه المرحلـة، وذلـك مـن أجـل معرفـة أبـرز المعضـلات والمعوقـات التـي واجههـا مسـيرون، وفي تقديـري الشـخصي المتواضـع أن المـسرح بالمملكـة العربيـة السـعودية مـر بعـدة تحـوّلات مرحليـة يمكـن لنـا أن نحددهـا في مسـارين مهمـين؛

- **المسار التاريخي والإداري.**
- **المسار الفني والفكري.**

المسار التاريخي والإداري

أولى محطات المسار التاريخي هي مرحلة المسرح المدرسي التي دامت عدة عقود بدءًا من أواخر الأربعينات الهجرية العشرينيات الميلادية الماضية حتى مطلع التسعينيات الهجرية السبعينيات الميلادية، تخللها فترات وشراكة شاركت فيها عدد من المؤسسات الاجتماعية والأندية الرياضية، ومحاولات فردية أجهضت أبرزها كانت محاولة أحمد السباعي لإنشاء مسرح أهلي في مكة المكرمة في مطلع الستينيات الميلادية، المحطة الثانية وهي الأهم هي فترة التسعينيات الهجرية مع إنشاء جمعية الفنون بدءًا من الأحساء كجمعية أهلية، ومن الرياض كجمعية رسمية، أشهرت في عام ألف وثلاث مئة وثلاثة وتسعين هجرية، وهي بحق تعتبر نقطة تحوّل في مسيرة المسرح بشكل خاص والفنون بشكل عام، على الرغم من أن أنظمتها ولوائحها لم تتطور كثيرًا لعدة عقود إلا أنها كانت فاعلة في مجال المسرح وبشكل كبير، بالرغم من قلة الإمكانيات المادية وافتقارها للبنى التحتية، واكب ظهور الجمعية حركة المسرحية في الجامعات السعودية وبالأخص جامعة الملك سعود، والملك عبد العزيز، وجامعة أم القرى، تلتها جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، بالإضافة إلى نشاط مسرحي كبير في الأندية الرياضية من خلال تفعيل المسابقات المسرحية بين الأندية في المكاتب وعلى مستوى المملكة.

هذا الحراك المسرحي أوجد حالة من التواصل مع المجتمع والجمهور من خلال العروض المسرحية الاجتماعية التي تقدمها فروع الجمعية بينما استمر المسرح المدرسي في تقديم عروضه في إطاره التربوي داخل محيط المدارس لكنه كان الممول الرئيسي للمواهب وخصوصًا التمثيلية، في مطلع القرن الهجري الحالي استمرت المؤسسات الرسمية التي تُعنى بالمسرح على حاله ولم يطرأ جديد في أنظمتها ولوائحها، لكنه ظهرت محاولات شبابية لتأسيس فرق مسرحية خاصة، ومشاركات للأندية الأدبية في

بعض المناشط والعروض، وإسهامات الارتفاع الخاص عبر الأندية الرياضية والحراك المسرحي أوجده المهرجان الوطني للتراث والثقافة، وشهدت هذه الفترة مشاركة كبيرة للمسرح السعودي للعديد من المهرجانات المسرحية العربية والدولية حقق فيها إنجازات وجوائز تحسب لمسيرة المجتمع السعودي رغم كل المعاناة، في عام ألف وأربع مئة وثمانية وعشرين ألفين وثمانية أقرت وزارة الثقافة والإعلام تأسيس جمعية المرشحين السعوديين ضمن مجموعة من المؤسسات الفنية المتخصصة، واستبشر المسرحيون بها كمؤسسة رسمية تُعنى بالمسرح بشكل خاص، إلا أنها لم تتجاوز أعوامها الأربع حتى توقف عملها بسبب انعدام الدعم الرسمي لها من قبل الوزارة، بالرغم أن مجلس إدارتها اجتهد في وضع رؤية وأهداف يسعى لتحقيقها ونفذ عددًا من البرامج والأنشطة مثل إصدار التراخيص للفرق المسرحية الأهلية، والدورات التكوينية، وملتقى النص المسرحي، ومهرجان الفرق المسرحية الأهلية، ولكنها بعد مرور ما يقارب أربع أو خمس سنوات توقف نشاطها وسط خيبة أمل كبيرة من المسرحيين السعوديين بأن يتبدد هذا الحلم، ورغم كل هذه الظروف والمعوقات فإن الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بقيت صامدة كنافذة وحيدة للمسرح بالإضافة إلى بعض الفرق المسرحية الأهلية.

نأتي إلى نقطة التحوّل الكبرى وهي نقطة تاريخية ليس للمسرح فقط بل لكل الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية في المملكة، ألا وهي رؤية المملكة عشرين ثلاثين والتي ظهرت فيها وزارة الثقافة كوزارة مستقلة أثمرت عن إنشاء إحدى عشر هيئة منها هيئة المسرح والفنون الأدائية، والتي يعلن عنها في عام ألفين وعشرين وهو عام التحوّل الوطني.

المسار الفني والفكري

المسار الثاني هو النشاط الفني والفكري والذي كان فيه

المسرح في بداياته يسوده مسرح الارتجال، سواء في عروض المسرح المدرسي أو الأندية الرياضية، وحتى بدايات جمعية الثقافة والفنون بالأحساء، واتسمت به عروضه التي استَشفّينا محتواها من عناوينها ومن أخبار الصحف والمجلات وروايات بعض الرواد، لكن مع ظهور الجمعية كمؤسسة رسمية اختلف المسار فأصبحت العروض المسرحية تنطلق من نصوص مكتوبة، فكان عبد الرحمن حمد، ونصر مبارك، وعبد الرحمن المريخي، وإبراهيم الحمدان، وعبد الرحمن الشاعر، وأحمد سعيد مصدق، ومحمد رجب، ومحمد الهويني، وأحمد بن معيدة، وغيرهم، قدموا أعمال مسرحية الاجتماعية تلامس هموم المجتمع وتطرح قضاياه وأحلامه، وللطفل أيضًا كانت هناك إصابات كثيرة من عبد الرحمن المريخي، والشاعر والمسرحي علي مصطفى، يعني كان لها أثر كبير في إثراء الحركة المسرحية في جانب من جوانبها المهمة وهو مسرح الطفل.

على الرغم من أن هذه الفترة سيطر عليها المسرح الكلاسيكي الراقي بشكل عام إلا أن التحوّلات الفنية والتقنية المسرحية بدأت تضعف في المسرح السعودي بشكل متقطع ومتذبذب، لكن يُحسب للكاتب والمخرج الراحل عبد الرحمن النويفي رحمه الله أنه عندما رؤى إخراجية جديدة من خلال مسرحية "الحل المفقود" عام ألف وتسع مئة واثنين وثمانين، وكسر الحاجز الرابع في تجربة مسرحية لم تكن معهودة في المسرح السعودي، قابله في الطائف الكاتب عبد العزيز الصقعبي حينما قدّم لأول مرة مسرحية المانودراما "صفعة في المرآة" في عام ألف وتسعمئة وثلاثة وثمانين من إخراج بن صالح عبد العزيز بن رشيد، وتمثيل راشد الشمراني، في تقديري أن هذين العملين يمكن لنا أن نعتبرهما بداية مرحلة جديدة من العروض المسرحية المختلفة عما كان سائدًا في المسرح السعودي حيث قدم راشد الشماني وسعد الدوسري فيما بعد مسرحية: "عندما يكتب البطل هزيمته" وهي أول عمل مسرحي يخوض

خمار التجريب بشكل صريح وفصلي، بالإضافة إلى نصوص الكاتب المسرحي الراحل محمد العثيم، هذه الأعمال كانت بمثابة الإرهاصات لظهور طفرة جديدة من الأعمال المسرحية لمؤلفين مسرحيين شباب أمثال سامي الجمعان، وعبدالعزيز إسماعيل، ومشعل الرشيد وفهد الحارثي وماجد البشري ومحمد السحيمي، وبادي التميمي وفهد الحوشاني ، ومخرجين أمثال عامر الحمود و علي الغوينم ، وراشد الورثان ، وخالد الحربي ، وأحمد السروي، ونايف خلف وغيرهم ، أعقبهم جيل ثالث من الكتاب عباس الحايك وإبراهيم الحارثي وعبدالله الزيد ، وياسر الحسن ، ويحيى العلكمي وسعد المسمى وفهد الأسمر . أيضًا ساهم في هذه المرحلة عدد من المخرجين العرب أمثال سمعان العاني ، وصبحي يوسف، وزكريا المؤمني ، وأبوبكر الشلقامي وغسان الدبس و عثمان حمد ورشدي سلام.

نقطة التحول

في عام ألفين وعشرين أعلنت وزارة الثقافة عن مبادرة المسرح الوطني ومن خلالها نفذت مسابقة التاريخ المسرحي التي شارك فيها قرابة ثلاث مئة مشارك، وخلال ذلك العام أيضًا أعلنت عن إنشاء هيئة المسرح والفنون الإدارية لتكون هي المؤسسة الرسمية المسؤولة عن تسيير وتنشيط المسرح في المملكة، وهي بهذا تعلن عن مرحلة جديدة وغير مسبوقة للمسرح في المملكة العربية السعودية، حيث أصبح له مؤسسة رسمية تعنى بتشريعاته وأنظمته وقوانينه، والتي حملت في رؤيتها:

أن تزدهر المملكة العربية السعودية بمختلف ألوان الثقافة، لتثري نمط حياة الفرد وتسهم في تعزيز الهوية الوطنية، وتشجع الحوار الثقافي مع العالم.

فيما نصّت رسالتها على:

تحفيز تطور ونمو قطاع المسرح والفنون الأدائية من خلال تمكين المواهب السعودية لبناء مسيرات مهنية ناجحة وإنشاء محتوى يلهم الجمهور.

وتترجم هذه الرؤية من خلال العديد من المحاور أبرزها:

- **محور تنمية المواهب**، والذي يشتمل على مجموعة من المبادرات وهي "مبادرة التعليم والتدريب" وهي جارية إلى الآن، حيث نُفذّ عدد من البرامج التدريبية، والاستفادة من برنامج الابتعاث الوطني، واكتشاف المواهب، المسرح المدرسي له نصيب كبير من هذه المبادرة للتشارك مع وزارة التعليم، حيث ستقوم الهيئة ببرنامج تدريبي مدته تقريبًا ثلاث سنوات لتدريب أكثر من خمس وعشرين معلمًا ومعلمة كمشرفين مسرحيين في المدارس، أيضًا حاضنة للأعمال الثقافية، والجانب الأهم هو أكاديمية المسرح التي من المتوقع إن شاء الله أن تنطلق العام القادم.و "مبادرة التطوير الوظيفي"، وتوظيف الخريجين في القطاع، وأيضًا جوائز القطاع التي كان للمسرح فيها نصيب في الجوائز الثقافية التي أطلقتها وزارة الثقافة هذا العام.
- **محور البنية التحتية للقطاع** وتشمل: "تحديث وتفعيل البنية التحتية للمسرح الوطني وعدد من المسارح في مختلف مناطق المملكة.
- **محور التمويل** وهو "دعم الإنتاج المحلي" و "دعم نظام استضافة العروض ومواصلة تمويل الفعاليات والمحتوى"، ومبادرتان لمحور التقنية الحديثة "برنامجدعم الابتكار" ، وسبع مبادرات تستهدف محور الجمهور، وسبع مبادرات تستهدف دعم أسعار التذاكر لتحفيز التلقي، وقياس نظر الجمهور، وتطوير النقد المسرحي، والتوعية في أعمال القطاع المحلية.

- **محور الحوقمة** وفيه ثلاث مبادرات: "تفعيل الهيئة" وتفعيل المؤسسات المجتمع المدني والعمل مع الجمعيات، ومبادرة تسهيل الإجراءات والتراخيص".

هذه أبرز نقطة في التحوّل الوطني في مجال المسرح التي ممكن أن نلمسها ونتوقع منها الكثير، ولعل من المؤسف أن يكون هذا العمل ظهر في ظل جائحة كورونا، فعرقل الكثير من المشاريع التي كانت ستطلقها هيئة المسرح، ولكن يتوقع من هيئة المسرح في القادم القريب برامج وأعمال تسرنا نحن كمسرحيين، وتسهم في تطوير المسرح في المملكة العربية السعودية.

مُنتدى الثلاثاء الثقافي

Thulatha Cultural Forum